﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧﴾

[الأعراف: 67]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ربْـطٌ بين تُهمةِ المـلأِ لـهـودٍ في المواجهةِ، ولُطْفُ الـرَّدِّ في مِضْمارِ المناصَحةِ

لمّا نسبوهُ إلى الضَّلالِ، وردّوا على تلطُّفه بجفاءٍ؛ ذكر ردَّه عليهم بنفي السَّفاهةِ بمزيدٍ من التَّلطُّف والحلم، وفي بيان هذه المناسبةِ يقول البقاعيُّ: "ولما قابلوا لينه لهم، وشفقتَه عليهم بهذه الغلظةِ؛ أعرضَ عن ذلك، وعاملهم من الحلم بضدِّ ما سمّوه به بأن ﴿قَالَ﴾ معلمًا الأدبَ في مخاطبة السُّفهاء: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ مذكِّرًا بما بينهم من النَّسبِ الدّاعي إلى الودِّ والمناصحةِ والعطفِ والملاطفةِ"[1].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

الـــواثـــقُ في مـــواقِـــفِـــه، لا تُـغـيِّرُهُ عَـواصِـفُ الاسْتِفزازِ

يخبر اللهُ تعالى أنَّ هودًا عليه السلام قال لقومه في ردِّه عليهم غاضًّا عن اتِّهامِهم بأدبٍ حسن وخلق عظيم: ليسَ بي جهلٌ أو حماقة، ولكنّي بحقٍّ رسولٌ إليكم من ربِّ الخلقِ أجمعين[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ فصْلِ جُملةِ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾:

إبْـرازُ الـرَّدِّ بعْدَ طُـولِ الـصَّـدِّ، حِكمةٌ أنيقةٌ، وعِبرةٌ رقيقةٌ

الجملة في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾ مستأنفةٌ، فُصلت عن سابقِها، ولم تعطف؛ لأنَّها جاءت جوابًا عن سؤالٍ نشأ بعد محاورتهم، وقولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، فكأنَّه قيل: فماذا قالَ بعد ذلك؟ فقيل: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ولم يحتجْ إلى عطفِها بالفاءِ؛ لِقوَّة الرَّبط بين الجملِ في المحاورات، وبين السُّؤال والجواب.

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/436.

(2) الزحيلي، المنير: 8/263، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/158.

بَلاغةُ الرَّدِّ في قولِه تعالى: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾:

نـفـيُ قَـلـيـلِ السَّـفـاهةِ نـافٍ لِكَثيرِها، بخلافِ العَكْسِ

في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ نفى عن نفسهِ السَّفاهة على وجه المبالغةِ، حيثُ نفى أن يكونَ به "شيءٌ منها ولا شائبةٌ من شوائبِها"[1]، ولو قال: (لست سفيهًا)؛ لدلَّ على نفي ثبوتِ الصِّفة بهِ، ونفي الصِّفة لا يدلُّ على أنَّه لا يفعل شيئًا سفيهًا، بل تنفي ثبوتَ الصِّفة به، ولو قال: (في سفاهة)؛ لدلَّ على أنَّه ينفي عن نفسهِ إحاطة السَّفاهة به، فيكون قد نفى المبالغة، ولم ينفِ السَّفاهة القليلةَ، وعليه فإنَّ قوله: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ أبلغُ في نفي السَّفاهة قليلِها وكثيرِها، ثبوتِها وحدوثها مرَّة واحدة، أي: ليس بي شيء ممّا يُقال لهُ: سفاهةٌ.

مَعانٍ ضِمنيَّةٌ، في نفيِ السّفاهة والكذب:

نَـفْـيُ السَّـفـاهةِ دَالٌّ على إثْباتِ الصِّدقِ

اكتفى - هودٌ عليه السلام - في قولهِ تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ بالتَّصريح بنفي السِّفاهة، ولم يصرِّحْ بكونه صادقًا؛ لأنَّ نفيَ داعي الكذبِ، وهو السَّفاهة ينفي عنه "أن يكونَ كاذبًا؛ لأنَّ الدّاعي إلى الكذب الخفَّةُ والطَّيشُ"[2]، ولمّا نفى ذلك؛ فقد أثبتَ لنفسه الصِّدق، ومن المعلوم أنَّ إثباتَ الصِّفة بطريق النَّفي أبلغُ من الإثبات؛ لأنَّ النَّفي يزيل كلَّ الاحتمالاتِ الَّتي يمكن أن تنقضَ الإثباتَ، فلمّا نفى عنه كلَّ سفاهةٍ داعية للكذب؛ ظهر صدقُه بلا احتمالٍ وبلا شكٍّ.

فائِدةُ عطْفِ جُملةِ: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ﴾ على ما قبلَها:

تـأيـيـدُ دَعـــوَى رجاحةِ العقْلِ، بدليلِ الرِّسالةِ

عُطِفَ قولُهُ جلَّ شأنُه: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على قولهِ: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ لكونهما من مقولهِ عليه السلام؛ فلمّا "نفى السَّفاهة؛ أثبت ما يلزم منه ضدَّها"[3]، فبعد نفي العيبِ عن نفسهِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/238، والبقاعيّ، نظم الدرر: 7/436.
(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/436.
(3) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/436.

أعقبهُ بوصفِ نفسهِ بأشرفِ صفةٍ، وهي أنَّه رسولٌ من ربِّ العالمين، فزكَّى نفسه عن السَّفاهة، وأثبت نقيضَها بإثباتِ كونهِ رسولًا من اللهِ تعالى ليهدي النّاس، فهو أبعدُ ما يكون عن السَّفاهة.

دَلالةُ حرفِ (لكنَّ)، واتِّصالِه بضَميرِ المتكلِّم:

إثباتُ الصِّدقِ والأمانةِ، بعْدَ الرَّمْيِ بالسَّفاهةِ

لمّا نسبت عادٌ هودًا إلى السَّفاهة، ونفاها عن نفسهِ، فكان وصفهُ بالسَّفاهة يستلزمُ كونَه كاذبًا ضالًّا، فاستدركَ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّ الاتِّصافَ بذلك يقتضي كونَه في غاية الرُّشد والصِّدق[1]؛ "فإنَّ الرِّسالةَ من جهة ربِّ العالمين موجبةٌ لذلك حتمًا، كأنَّه قيلَ: ليس بي شيءٌ مما نسبتموني إليه، ولكنّي في غايةِ ما يكونُ من الرُّشدِ والصِّدق"[2].

وفائدةُ دخول (لكنَّ) على ياء المتكلِّم الدَّلالةُ على أنَّ النَّفي والاستدراك واقعان منه، لينقض ما رموه بهِ، ويثبتَ نقيضَه، فوقعت (لكنَّ) بين نقيضين، فنفى عن نفسه السَّفاهةَ، وأثبتَ نقيضها، وهو الرُّشد والصِّدق والأمانة.

دَلالةُ تَنْكيرِ ﴿رَسُولٌ﴾، وأنَّه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

اجْتِماعُ فخامةِ الرِّسالةِ، وعِظَمِ مَصدرِها، سَكينةٌ من ورائِها رُسوخٌ

في قولهِ تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جاءَ لفظُ (الرَّسول) نكرةً تفخيمًا لكونه متَّصفًا بالرِّسالة، ووصفَ الرَّسول بأنَّه واردٌ من الله تعالى تأكيدًا لتفخيم الرَّسولِ، فهو رسولٌ، وأيُّ رسولٍ ذلك الَّذي يردُ من الله تعالى، وفي ذلك دلالةٌ على كونهِ في الغايةِ القصوى من الرُّشد والصِّدق[3].

نُكتةُ التَّعْبيرِ بالرُّبوبيَّةِ في قوله: ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عدلَ عن

(1) الآلوسي، روح المعاني: 4/393.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/238.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 4/393، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/238.

ذكرِ اسمِ الجلالةِ إلى ذكرِ الرُّبوبيَّة تذكيرًا لهم بالمحسن إليهم، الذي أوجدهم أوَّلًا، وكفل رزقَهم، ثمَّ أتمَّ نعمتَه عليهم بإرسال الرُّسل[1]، فمقامُ ذكرِ الرِّسالة يليقُ به صفةُ الرُّبوبيَّة؛ إذ بها تستقيم مصالحُ الخلقِ.

مَـقـامُ إرسَـال الرُّسُلِ يأتَلِفُ مع صِفاتِ الرُّبوبيَّةِ

فائِدةُ إضافةِ ﴿رَبِّ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أضافَ لفظ الرَّبِّ إلى ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في سياقِ الحديثِ عن مصدرِ رسالتِه؛ تنبيهًا لهم "على أنَّه ربُّهم؛ لأنَّهم من جملة العالم، أي: من ربِّكم المالك لأموركم، النّاظر لكم بالمصلحة، حيث وجَّهَ إليكم رسولًا يدعوكم إلى إفرادِه بالعبادةِ"[2]، وأنَّ ما جرى لكم من إرسالي رسولًا، أدعو إلى عبادتِه وتوحيدِه، كان لمن سبقكم، كما أنَّه سيكونُ لمن سيلحقُ بكم، فكونوا قدوةَ خيرٍ للعالمين، لا عبرةً للمعتبرين.

إرسَـالُ الـرُّسُـلِ سُـنَّـةٌ رَبـانـيَّـةٌ، مُستمِرَّةٌ إلى يومِ الدِّينِ

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/436.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 5/83، وينظر: المراغي، تفسير المراغي: 8/189.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»